لماذا حذفت مصر إسم سلطان عثماني من أحد شوارع القاهرة؟

لندن - وائل جمال الدين

(لا يصح إطلاق اسم مستعمر على أحد الشوارع المصرية)، هذا ما صرح به محافظ القاهرة عاطف عبد الحميد بعد أن أثار قراره المبدئي بتغيير اسم شارع (سليم الأول) نوعا من الجدل في الشارع المصري، بناء على مقترح تقدم به أكاديمي متخصص في التاريخ المعاصر لحذف اسم السلطان العثماني.

وكان محمد صبري الدالي، أستاذ التاريخ المعاصر بجامعة حلوان، قد تقدم بالمقترح لمحافظة القاهرة، مشيرا إلى أن السلطان سليم الأول جرد مصر من استقلالها، وجعلها ولاية تابعة للدولة العثمانية، فضلا عن قتله آلاف المصريين خلال دفاعهم عن بلادهم، وأعدم السلطان المملوكي (طومان باي)، آخر سلاطين المماليك وفكك الجيش المصري.

وفتح قرار تغيير اسم الشارع العديد من التساؤلات بشأن تاريخ السلطان سليم الأول ودخوله مصر وفترة الحكم العثماني تحديدا، وهل توجد أبعاد سياسية وراء القرار في وقت تتسم فيه العلاقات المصرية التركية بالتوتر؟

قال أحمد الدميري، مدير العلاقات الخارجية بمحافظة القاهرة، لبي بي سي إن القرار لا يحمل أي صبغة سياسية، مشيرا إلى محاولات سابقة من مؤرخين ومتخصصين في التاريخ الحديث طالبت المحافظة باتخاذ مثل هذا القرار على مدار سنوات.

وأضاف : (موافقة المحافظة على تغيير الاسم هي موافقة مبدئية حتى الآن، وليست وليدة اللحظة، بل توجد محاولات سابقة من مؤرخين وصلت إلى حد رفع دعاوى قضائية على محافظة القاهرة. وما زالت المحاكم تنظر فيها).

وأشار الدميري إلى أن الاسم البديل سيطرح من خلال (مناقشة شعبية) مع سكان المنطقة بالتعاون مع (المجلس الأعلى للتسميات، وهي لجنة تضم نخبة من أساتذة التاريخ والتربية والتعليم وأعضاء من محافظة القاهرة، وبمجرد الإجماع على اسم بديل لابد من موافقة مجلس الوزراء ونشره في الجريدة الرسمية ليصبح قرارا يدخل حيز التنفيذ).

من هو السلطان سليم الأول الذي حذفت مصر اسمه من أحد الشوارع؟

وكان السلطان سليم الأول، وهو أحد السلاطين العثمانيين، قد بدأ حربا مع المماليك في منطقة الشام. والتقت القوتان في معركة عرفت في التاريخ باسم (مرج دابق)، انتصر فيها العثمانيون ودخلوا مدنا مثل حماة وحمص ودمشق وفلسطين ووصلوا حتى مدينة العريش في مصر.

وقاتل سليم الأول طومان باي، آخر سلاطين المماليك الشراكسة بمصر، في موقعة تعرف باسم (الريدانية) انتصر فيها العثمانيون ودخلوا القاهرة بعد سقوط الآلاف من الفريقين، وأعدم سليم الأول طومان باي عام 1517، في القاهرة.

أسماء سلاطين

وقال أحمد الشربيني، أستاذ التاريخ الحديث بجامعة القاهرة، لبي بي سي إن تغيير اسم شارع معين لا يغير من الأحداث التاريخية ولا يطمسها.

وأضاف : (أمثال السلطان سليم الأول دخلوا التاريخ وخلدوا أسمائهم، اتفقنا معهم أم اختلفنا، وتغيير اسم شارع لا يخدم التاريخ في شئ).

وأشار الشربيني إلى أن الكثير من شوارع مصر تحمل أسماء السلاطين العثمانيين، مؤكدا أن ثمة قضايا أهم بكثير في عصرنا من الاهتمام بتغيير أسماء الشوارع.

رحلة في تاريخ الدولة العثمانية

كما قال : (الحكم على الوقائع التاريخية وعلى فترة معينة متغير باختلاف الزمن ويخضع لأهواء المؤرخ)، ويطرح الشربيني سؤالا (إذا محونا اسم الشارع الآن، فهل نستطيع أن نمحوا ذكر سليم الأول من الكتب التاريخية ومناهج التاريخ التي تدرسها المدارس المصرية).

غياب آلية التسمية

من ناحية أخرى، يرى محمد عفيفي، أستاذ ورئيس قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة القاهرة، أن اختيار أسماء الشوارع يخضع لأبعاد سياسية بحتة، ولا تحكمه ضوابط تاريخية أو علمية في ظل غياب آلية واضحة لتسمية الشوارع في مصر.

وقال : (إطلاق أسماء الشوارع في شتى أرجاء العالم هو عمل سياسي بامتياز، وهذا ليس عيبا أو مستهجنا، والمتعارف عليه أن التسمية تأتي لتمجيد شخص أو حادثة تاريخية تحمل ذكرى معينة).

وأضاف: (ربما نعرف سبب إلغاء تسمية شارع معين، لكن السؤال هو متى سميت أسماء الشوارع بأسمائها الحالية؟ وما هي أسباب التسمية؟ وفي ظل أي عصر أو حكومة اتخذ قرار التسمية بهذا الاسم؟)

وأشار عفيفي إلى ضرورة إطلاق اسم بديل (أقوى) من الاسم القديم إذا كان الهدف من القرار هو محو الاسم في حد ذاته، مستشهدا بتغيير اسم (ميدان الملكة نازلي)، زوجة الملكة فؤاد، إلى ميدان (رمسيس) في وسط القاهرة. وأصبح المواطن المصري لا يعرف اسما للميدان غير رمسيس لأن الملك الفرعوني (أقوى في الوعي المصري من الملكة نازلي بكثير) وبالتالي تحقق الهدف.

وحث عفيفي السلطات المصرية على وضع آلية ثابتة وواضحة للجميع لتسمية الشوارع، تفاديا للوقوع في أخطاء في المستقبل.

وتقول دائرة المعارف البريطانية إن السلطان سليم الأول ولد عام ١٤٧٠ في تركيا الحالية، وتوفي في 22 سبتمبر/أيلول عام 1520 وكان قد نجح في ضم سوريا والحجاز ومصر للدولة العثمانية التي دفعها لزعامة العالم الإسلامي.

وكان سليم قد وصل إلى السلطة بعد صراعه مع اخوته ووالده، بايزيد الثاني، إذ نجح سليم في الاطاحة بوالده وطارد اخوته فقتلهم ليقضي على أي فرصة لهم لمنافسته أو تهديد حكمه. ثم تحول بعد ذلك إلى الشرق، حيث دخل في صراع مع الشيعة الإسماعيلية، مؤسسي الدولة الصفوية في إيران، التي مثلت تهديدا سياسيا وأيديولوجيا للدولة العثمانية السنية.

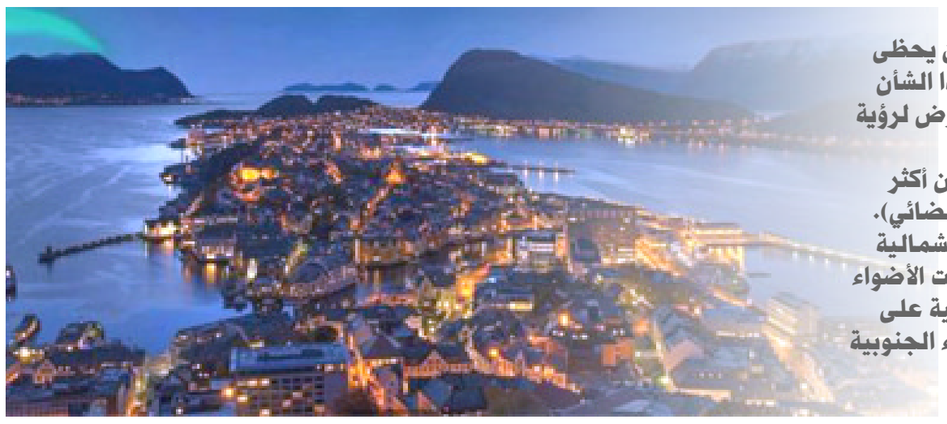

وقد تسنى لفيرتس خلال وجوده على متن المحطة الفضائية الدولية أن يحظى برؤية (الشفق القطبي) في أفضل صورةٍ ممكنة، ما يجعل حظه في هذا الشأن أفضل كثيراً من أقرانه ممن يُقدِمُون على السفر لآلاف الأميال على الأرض لرؤية هذه الظاهرة.

سيتعين على مركبات الفضاء، التي تُطلق حالياً بشكل متزايد، أن تكون أكثر مرونة في التعامل مع التأثيرات الناجمة عن المرور بـ(مثلث برمودا الفضائي).

ويروي رائد الفضاء السابق تجربته في هذا الصدد بالقول: (الأضواء الشمالية تبدو من الفضاء مختلفةً للغاية عن نظيرتها الجنوبية. فدائماً ما كانت الأضواء الشمالية تظهر من زاوية الناظر من على متن المحطة الفضائية الدولية على أنها ذاك الحزام الرفيع الذي يلوح من على مبعدة، بينما كانت الأضواء الجنوبية على الدوام هي تلك السحابة الأكبر حجماً والأكثر قرباً من المحطة).

منطقة تتعطّل فيها الكومبيوترات وتتوقف المراصد

رحلة مثيرة إلى مثلث برمودا الفضائي

لندن - ساره كيتينغ

ثمة منطقةٌ بالفضاء تسودها مستوياتٌ عالية من الإشعاع، وتطير فيها السفن الفضائية على نحوٍ شاذ، كما تتوقف فيها أجهزة الكمبيوتر في تلك السفن الفضائية عن العمل.

يروي تيري فيرتس، وهو رائد فضاء سابقٌ في الإدارة الوطنية للملاحة الجوية والفضاء في الولايات المتحدة (ناسا) أنه قرأ، حتى قبل أن يعمل في هذا المجال، قصصاً عن رواد فضاء رأوا ومضات بيضاء اللون من الإشعاع، خلال رحلاتهم الفضائية.

وكانت تجربته الشخصية مع هذا الأمر في الليلة الخامسة من أولى رحلاته للفضاء، والتي بدأها عام 2010 على متن مكوك الفضاء (إنديفور)، وقال عنها إنه كان قد دلف لفراشه لتوه وأغمض عينيّه قبل أن يلمع أمام ناظريْه وميضٌ هائل الحجم أبيض اللون يغشى الأعين، دون أن يسمع أي صوت.

اعداد متزايدة

والآن بات رجال الأعمال، الذين ينخرطون بأعداد متزايدة في مجال رحلات الفضاء، مثل الرئيس التنفيذي لشركة (سبيس إكس) إيلون ماسك الذي أطلق مؤخراً صاروخه (هيفي) من ولاية فلوريدا الأمريكية، بصدد اكتشاف أنه سيتعين عليهم التعامل مع مثل هذه الظواهر الغريبة في الفضاء. ومن أغرب هذه الظواهر تلك التي شهدها فيرتس، والتي تحمل اسم "شذوذ منطقة جنوب المحيط الأطلسي"، والتي تجمع ما بين انبعاث وميضٍ هائلٍ من الضوء دون صدور أي صوتٍ على الإطلاق. وهي الظاهرة التي يقول بعض العلماء إنها النسخة الفضائية من "مثلث برمودا". لكن هذه الظاهرة لا تقتصر على رؤية المرء ذاك الوميض الغريب، بل تشمل كذلك تعطل أجهزة الكمبيوتر القريبة، وتعريض الأشخاص الموجودين بالقرب من المنطقة التي تسودها تلك الظاهرة لمستويات عالية من الإشعاع، وهو ما أكسبها اسم (مُثلث برمودا الفضائي). وفي ضوء تزايد عدد الرحلات الفضائية المأهولة، واعتماد روادها بشكل أكبر على أجهزة الكمبيوتر، باتت المخاطر التي تشكلها هذه المنطقة أكثر حدة. ولكي يفهم المرء طبيعة تلك المنطقة المعروفة اختصاراً باسم (إس آيه آيه)، ينبغي عليه أن يستوعب أولاً ماهية (حزاما فان آلن الإشعاعيين)، وهما عبارة عن نطاقيْن من الجسيمات المشحون، يتخذان شكل كعكة ويحيطان بالأرض ويبقيان في مكانيْهما بفعل المجال المغناطيسي لكوكبنا. تضطر الأقمار الصناعية، وحتى المحطة الفضائية الدولية، لتقليل وقت مرورها بقدر الإمكان في هذه المنطقة التي تسبب الدمار والخراب

ويقول فيرتس في هذا الشأن إن الشمس (تولّدُ قدراً هائلاً من الإشعاع. وجانبٌ كبيرٌ من هذا الإشعاع عبارة عن جسيمات، مثل الإليكترونات التي تنطلق بسرعةٍ من على سطح الشمس. وكل هذه المواد تُطلق في الفضاء، ومن شأن المجال المغناطيسي للشمس جعلها تنحني (في مسارها). وعندما تصل إلى الأرض تعلق في مجالنا المغناطيسي، وتشكل هذين الحزاميْن الإشعاعييْن في الفضاء). الخبر السار في هذا الشأن يتمثل في أن (حزامي فان آلن) يحميان الأرض من تلك الجسيمات الإليكترونية المشحونة للغاية بالطاقة، والتي تقذفها بها الشمس، لكن النبأ السيء هو أن ثمة تعقيدات أخرى في الأمر. بداية، لا بد من الإشارة إلى أن الأرض ليست مستديرةً تماماً، بل إنها منتفخة قليلاً في المنطقة الوسطى منها، كما أن أقطابها المغناطيسية لا تتماشى بشكل كامل مع أقطابها الجغرافية، وهو ما يجعلها مائلةً ومنحنيةً، ما يؤدي إلى أن ينحني مسار (حزامي فان آلن) بدورهما.

وهكذا تكون منطقة (إس آيه آيه) هي تلك الواقعة في البقعة التي يكون فيها الحزام الداخلي من (حزامي فان آلن) في أدنى ارتفاع له، وبالتالي في أقرب نقطة للأرض. ونظراً لهذا الشكل المنحني، يكون المجال المغناطيسي للأرض في أقوى حالاته في شمال كوكبنا، تاركاً المنطقة الواقعة فوق جنوب المحيط الأطلسي والبرازيل في مسار أحد حزامي (فان آلن).

ورغم أن ذلك لا يشكل خطورةً على كوكب الأرض، فإنه يُلحق أضراراً جسيمة بأي قمر اصطناعي أو مركبة فضائية تمر بتلك المنطقة، مثل المحطة الفضائية الدولية. وتمتد الأضرار كذلك إلى أي أشخاص على متن هذه المركبات، وهو ما يعرفه فيرتس بشكل جيد للغاية، فقد خَبُرَ ذلك في رحلتهِ عامَ 2010، وفي الفترة التي قضاها على متن المحطة الفضائية الدولية عام 2014 . وهكذا، يُسجل رواد الفضاء الذين يواجهون هذه الظاهرة رؤية ومضات بيضاء اللون، بجانب إصابة أجهزة الكمبيوتر الخاصة بهم بخلل وأعطاب. ويقول فيرتس في هذا الصدد: (لدينا في وكالة ناسا حروفٌ مختصرة للإشارة إلى كل شيءٍ (يواجهنا)، وهي هنا SEUs للتعبير عن مصطلح الاضطرابات الناجمة عن حدثٍ واحد. ويعني ذلك أن جهاز الكمبيوتر الخاص بك أصيب بالفواق، وأن ذلك يحدث مرات كثيرة نسبيا).

ويقول فيرتس عن هذه المنطقة إنها معروفةٌ جيداً بأنها البقعة (التي تحدث فيها مشكلاتٌ لكل أنواع الأجهزة والمركبات التي تُوضع في المدار حول الأرض لجمع معلومات، فالأمر لا يقتصر على المحطات الفضائية المأهولة بالرواد، بل يشمل كذلك أقمار الاتصالات العادية وغيرها). رغم أن (الأضواء القطبية" قد تبدو ذات تأثير درامي من على سطح الأرض، فإن تأثيرها يكون خلاباً بشكل أكبر من الفضاء، كما يقول تيري فيرتس). ومن أمثلة هذه المشكلات، عجز مرصد هابل الفضائي في الوقت الحاضر عن تسجيل ملاحظات عن الفلك والفضاء، خلال مروره بالمنطقة (إس آيه آيه). ويشير فيرتس إلى أن المرء يرغب في أن يمر بتلك المنطقة بأقصى سرعة ممكنة (سواءً وأنت في الطريق إلى القمر، أو إلى أي مكان آخر تكون في سبيلك للذهاب إليه).

إذن كيف تُوفر الحماية لسفن الفضاء وروادها من هذه الضربات الإشعاعية؟ الإجابة كما يقول فيرتس تتمثل في الماء، الذي يشكل – بحسب تعبيره – الدرع الأفضل من نوعه في هذا الشأن.

ويشير إلى أن الرواد على متن المحطة الفضائية الدولية يستخدمون (جداراً مائياً)، وهو – كما يقول فيرتس – عبارة عن مجموعة من أكياس المياه الكبيرة التي تبلغ سعة الواحد منها 50 رطلاً (23 كيلوغراماً). لكن هذه الأكياس لا تُربط أو تُلف حول الأماكن التي ينام فيها هؤلاء الرواد.

مستويات الإشعاع

وفي الوقت ذاته، تتم مراقبة مستويات الإشعاع عن كثب طوال فترة الرحلات الفضائية، وهو ما يتحدث عنه فيرتس قائلاً: (هناك العديد من الأجهزة الإلكترونية الخاصة بالرصد الإشعاعي، وهي تُحصي الضربات الإشعاعية (التي تصيب المركبة)، وترسل البيانات الخاصة بذلك إلى الأرض. وكلٌ منّا يحمل معه جهازاً لمراقبة مستوى الإشعاع طوال المدة التي نقضيها في الفضاء. وقد أبقيت هذا الجهاز في جيبي طوال الوقت في كلا مهمتيّ. حتى عندما خرجت من المركبة للسير في الفضاء، حملته معي في سترتي الفضائية).

من جهة أخرى، هناك نتيجةٌ أخرى مدهشة للمعركة المحتدمة بين المجال المغناطيسي للأرض والرياح الشمسية، وهي (الشفق القطبي)، أو الأضواء القطبية الشمالية والجنوبية. وتحدث هذه الظاهرة عندما تضرب جسيماتٌ مشحونة بطاقة عالية وقادمة من الشمس الغلاف الجوي للأرض، مما يُولّدُ عرضاً لأضواء متألقة ولامعة خضراء اللون.

وقد تسنى لفيرتس خلال وجوده على متن المحطة الفضائية الدولية أن يحظى برؤية (الشفق القطبي) في أفضل صورةٍ ممكنة، ما يجعل حظه في هذا الشأن أفضل كثيراً من أقرانه ممن يُقْدِمُون على السفر لآلاف الأميال على الأرض لرؤية هذه الظاهرة.

تضطر الأقمار الصناعية، وحتى المحطة الفضائية الدولية، لتقليل وقت مرورها بقدر الإمكان في هذه المنطقة التي تسبب الدمار والخراب ويقول فيرتس في هذا الشأن إن الشمس (تولّدُ قدراً هائلاً من الإشعاع. وجانبٌ كبيرٌ من هذا الإشعاع عبارة عن جسيمات، مثل الإليكترونات التي تنطلق بسرعة من على سطح الشمس. وكل هذه المواد تُطلق في الفضاء، ومن شأن المجال المغناطيسي للشمس جعلها تنحني (في مسارها). وعندما تصل إلى الأرض تعلق في مجالنا المغناطيسي، وتشكل هذين الحزاميْن الإشعاعييْن في الفضاء). الخبر السار في هذا الشأن يتمثل في أن (حزامي فان آلن) يحميان الأرض من تلك الجسيمات الإليكترونية المشحونة للغاية بالطاقة، والتي تقذفها بها الشمس، لكن النبأ السيء هو أن ثمة تعقيداتٍ أخرى في الأمر.

باحثون: أعمال العناية بالذات تنعكس على الصحة الذهنية

الأثر السحري لجرعة يومية من الموسيقى الكلاسيكية

لندن - كليمينسي بورتون-هيل

هل يمكن لجرعة يومية من الموسيقى الكلاسيكية أن تغير حياتك؟ يبدو ذلك مجرد ادعاء من المستحيل أن يتحقق، لكن في حالتي كانت الإجابة وبشكل مقنع (نعم). وفي العادة، يُعد شهر كانون الثاني على سبيل الجدل، الوقت المثالي للاستماع إلى الموسيقى بكل ما فيها من جمال وتنوع ثري. نحن مخلوقات مجبولة على حب الموسيقى، هكذا كنا وسنظل. نحن أيضا مجبولون على تبادل الموسيقى، فقبل أن يقوم الفتية المتيمون بإعداد أشرطة من الأغاني المنوعة لبعضهم البعض، أو قبل أن تمكننا تقنية التسجيل الرقمية من تبادل المقاطع المفضلة، كنا نتواصل ونتصل من خلال الموسيقى.

لقد نشأنا وتطورنا كبشر بالتجمع حول النار بعد يوم صيد طويل، وكنا نردد الأغاني ونتبادل الحكايات عبر الأغنية. هذا ما فعله أسلافنا، وهكذا جعلوا العالم مكانا ملائما للعيش، وهكذا تعلموا أن يكونوا. إنها نبض مازال جوهريا في حياتنا. لكن حياتنا المعاصرة منهكة ومفتتة بشكل غير مسبوق. فمن منا يملك متعة تخصيص وقت يومي للاستماع لقطعة موسيقية محددة؟

ربما لم نكن يوما أكثر حاجة مما نحن الآن للمساحة العاطفية التي يمكن أن توفرها لنا الموسيقى بشكل عام، والكلاسيكية منها بوجه خاص.

صحة ذهنية

وتثبت الأبحاث العلمية بشكل متزايد أن ما نقوم به من أعمال للعناية بذواتنا له فوائد غير مرئية على صحتنا الذهنية، ورفاهيتنا، لكنني شخصيا لم أتمكن من ممارسة أعمال مثل اليوغا أو التأمل بشكل منتظم. ولم أذهب في حياتي إلى النادي لممارسة الرياضة، بغض النظر عن نبل مقاصدي.

تثبت الأبحاث العلمية أن الأنشطة المنتظمة التي تعرف بأنشطة (العناية بالذات)، مثل اليوغا، والاستماع إلى الموسيقى، يمكن أن تنطوي على فوائد غير معروفة على صحتنا العقلية وسعادتنا فأنا أعيش على تناول القهوة والسكريات، ودائما أترك تعبئة أوراق عائداتي الضريبية إلى أن يحين الموعد النهائي لها. وبالتالي، فمن المحتم أن هذا الوقت من السنة الجديدة الذي تُتخذ فيه القرارات الحاسمة يجعلني أشعر بالبؤس الشديد. ففي كل عام، أضع توقعات سنوية أفشل في تحقيقها، وبالتالي أصبح متوترة نتيجة لذلك. أنا متأكدة أنني لست الوحيدة في ذلك.

رغم ذلك، تبين أنه حتى أنا أمتلك الانضباط الذاتي لكي أسترق دقائق معدودة في كل يوم لأضع السماعات على أذني، وأستمع إلى مقطوعة موسيقية واحدة وأشعر بتغيير مزاجي ونفسيتي للأفضل.

وعلى الرغم من أنني عزفت على الناي منذ صغري، وعملت كمذيعة للموسيقى الكلاسيكية، وكاتبة متخصصة في الموسيقى لعشر سنوات، لم أتمكن من اغتنام التأثير الإعجازي للاستماع لتلك الموسيقى بشكل كامل إلا بعد جهد مضن استمر لعامين. ويكفي أن أقول إنني لم أكن في مكان مثالي من الناحية العملية، خاصة وأنا أحاول إخفاء المتطلبات المتناقضة لوظيفة مرهقة بدوام جزئي، مع وجود طفل صغير شديد النشاط، وشعور دائم بأنني على شفا الانهيار، وذلك في وقت أرسل فيه إشارات للعالم الخارجي من حولي بأن (كل شيء على ما يرام).

ورغم ذلك، لم تأت أي من الحلول التي جربتها بأي نتيجة ما عدا الموسيقى. لقد تبين لي أنه عندما غيرت عادات الاستماع للموسيقى إلى طقوس يومية أقوم بها عن وعي، بدأت أشعر في الحال بانخفاض مستويات التوتر والقلق.

وقد أعددت لنفسي كل شهر قائمة من الأغاني الكلاسيكية، محددة مقطوعة معينة لكل يوم. فزيارة موقع يوتيوب والضغط على زر التشغيل للاستماع إلى الموسيقى، بدلا من الانهماك التلقائي في تصفح مواقع الإعلام الاجتماعي، بدا لي مريحا من الناحية الروحية.

وبدأت أتطلع لذلك بشغف شديد. واستقر في ذهني أنه إذا تمكنت من الاستفادة بطريقة ناجعة من هذه الجرعة الصغيرة والقوية من الموسيقى التي تحسن من الحالة الروحية، فإنه بإمكان الآخرين أيضا أن يفعلوا الشيء ذاته. فماذا لو استطعت البناء على عشقي الممتد طوال حياتي للموسيقى الكلاسيكية؟ وماذا لو تمكنت من فتح هذا الكنز الكبير من الثروات الموسيقية، عن طريق تبديد الغموض الذي يكتنف الموسيقى، وإبراز الجانب الإنساني لأولئك الذين ابتكروها من خلال وضع كل قطعة موسيقية في سياقها، وسرد بعض القصص الخاصة بها، وتذكير القراء والمستمعين بأن تلك القطع الموسيقية ظهرت على يد شخص حقيقي شاطرهم القلق من ذات الأمور التي تقلقهم.

من أين نبدأ؟

تعد الموسيقى الكلاسيكية شكلا من أشكال الفن، ولأسباب كثيرة معقدة، يُنظر إليه غالبا على أنه مقتصر على الصفوة، وكأنها حفلة لا يُدعى إليها إلا قليل من الناس. وهذا أمر مثير للسخرية إلى حد الألم، لأن الموسيقى الكلاسيكية في حد ذاتها من بين أكثر الأعمال العاطفية صدقا. وهناك سبب يكمن في اعتماد الجميع على الموسيقى الكلاسيكية، بداية من مخرجي السينما، إلى مشرفي تنظيم الجنائز، الذين يريدون إثارة المشاعر. ونظرا لكثرة هؤلاء، بدأت لا أحصي عدد الأصدقاء، وأفراد العائلة، وحتى الغرباء، الذين يطلبون مني غالبا بطريقة خجولة أن أعد لهم قائمة بأفضل الأغاني أحيانا، كانت تُطلب مني أشياء محددة، مثل: موسيقى تحفز على الدراسة أو العمل، أو موسيقى لتهدئة الطفل حديث الولادة، أو موسيقى تساعد على النوم، أو لإثارة إعجاب والدي شريك الحياة، أو موسيقى لممارسة الرياضة على أنغامها، أو موسيقى للاسترخاء، بالسيارة، أو كخلفية لحفل عشاء.

وقد طلب مني مدير المقهى الذي أتردد عليه في منطقة سكني أن أعد له مقطوعة كلاسيكية لفترة الدوام المسائية. وأما ابنة أختي المراهقة، فقد طلبت مني موسيقى كلاسيكية تساعدها على الدراسة للامتحانات، وهكذا. صحيح أن اختفاء الوسائل التقليدية لبيع وتسويق الموسيقى بشكل عام يجعل الفنانين والشركات المنتجة للموسيقى أقل حماسة مما كانوا عليه في السابق، لكن ظهور منصات إلكترونية قانونية – مثل سبوتيفاي، وأبل ميوزيك – فتح الباب أمام تلك الفئة بطريقة مثيرة للدهشة.

أصابع رقمية

فالشيء الذي يتمكن كثيرون منا من الوصول إليه الآن بلمسة أصابعنا الرقمية لم يكن متخيلا قبل عشر سنوات. والآن بإمكان أي شخص متصل بالإنترنت أن يستكشف عالما من الموسيقى كان مغلقا في السابق ومقتصرا على أولئك الذين يعرفون ما يبحثون عنه، ولديهم المقدرة على دفع تكلفته. وكل واحد لديه القدرة الذاتية على أن يخصص بضع دقائق يوميا ليستمع لمقطوعة موسيقية واحدة.

التنقل في وسائل المواصلات العامة وتشغيل الموسيقى، بدلا من الانكفاء على متابعة مواقع التواصل الاجتماعي، يمكن أن يكون مريحا من الناحية النفسية والروحية

وقد يكون هذا الكم الهائل من الموسيقى المتوفرة الآن مجانا على الإنترنت مرهقا لكثيرين منا. لذا قررت أن أكتب دليلا إرشاديا فيه القليل من الحديث عن تاريخ الموسيقى الكلاسيكية، وهو بمثابة كنز ثمين منسق يدويا للقطع الموسيقية التي أعشقها.

ويتضمن هذا الدليل الكثير من النساء اللواتي لم ينلن قدرا كافيا من الشهرة لقرون طويلة، ولمؤلفين موسيقيين من كل الأطياف، بمن فيهم المثليين والمتحولين جنسيا، وكذلك لموسيقيين لديهم إعاقات بدنية (كتب بيتهوفن معظم روائعه الموسيقية وهو أصم بالكامل)، ولموسيقيين يعانون من مشاكل كالإدمان، وضعف الحافز.

وتشمل القائمة أيضا موسيقيين ممن أبدعوا أعمالا متكاملة وهو يقومون بوظائفهم اليومية (كسائقي التاكسي، والسباكين، والصيادلة، والمزارعين، وعمال البريد)، وواصلوا طريقهم رغم العقبات، وأبدعوا تلك المقطوعات الرائعة لكي نستمتع بها.

إنني أؤمن بأن الأعمال الموسيقية العظيمة هي محركات للعاطفة والتفاعل الإيجابي، إذ تتيح لنا أن نسافر بدون الانتقال إلى أزمنة أو أماكن أخرى. وهي أيضا تعطينا قوة تمكننا من استخدامها بما يتناسب مع حياتنا الحقيقية. لذلك لا تفكر كثيرا فيما إذا كنت تمتلك المؤهلات المناسبة لتصبح من عشاق الموسيقى الكلاسيكية، أو أنك تستمع بطريقة صحيحة، وثق بأن كل ما تحتاجه فقط هو أن يكون لديك أذنين.

إن بإمكانك الاستماع للموسيقى وأنت في طريقك مسافرا أو منتقلا من مكان لآخر في وسيلة مواصلات، ويمكنك أن تأخذ الموسيقى معك عندما تذهب للنزهة، وأن تستمع إليها في الخلفية وأنت تُعد إفطار أطفالك، أو تمارس رياضة الصباح المدرسية، أو تحضر العشاء، أو عندما تمدد رجليك مسترخيا، أو عندما تغسل ثيابك وتكويها، أو عندما تقرأ الإيميل الخاص بك.

أعتقد أنه لا يوجد شيء في الحياة لا يمكن لهذه الموسيقى أن تضفي عليه لمسة جميلة وساحرة. فهذه الموسيقى تستحق أن يعيش المرء ليستمتع بها، ويعيش بها أفضل حياة.